# مرارة أقداح الدين

لوهلة قصيرة من الوقت ظننت أنه حتى هذه اللحظة كل شيء على ما يرام.

فأنا أعرف على الأقل كيف أسدد هذا الدين وأرتاح من كل تلك الضغوطات التي كادت أن تكدر على صفو حياتي.

أسرتني رائحة الطعام المنبعثة من بيتنا حتى إنها جعلتني أحس بآلام الجوع.

زوجتي تجعل طعامنا شهيًّا طيب المذاق والرائحة.

جلسنا حول مائدة الطعام ودار بيني وبين أخي الصغير حديث، لم يدم طويلًا، أخذت أسأله عن أخبار وأحوال الأهل في البلدة، وهو يبتسم ويطمئنني وهو منهمك في تناول قطع اللحم المشوي اللذيذة.

سألته عن أخبار أولاد أخي وعن مدى فرحتهم باللعب مع الخروف خاصتي، والذي تركته في البلدة قبل عدة أيام مضت، قبل سفري إلى تلك المدينة.

صمت قليلًا ورحت أحملق في الفضاء أمامي وعادت عيناي بعد أن اصطدمتا بجدران المكان.

باغتتني نوبة من الغضب لا أعرف كم ستدوم، وبخيبة الأمل التي أصابتني وتملكتني الحيرة حين سئمت منه ذلك.

وفجأة تتلاشى الأصوات في الفضاء من حولي، ومنذ تلك اللحظة تحول ما كان في نفسي من سكينة إلى حالة من اليأس، أتجرع فيها مرارة أقداح الدين، ورجعت بظهري واستندت على الكرسي، ورحت أصمت في أسًى، وشهقت بمرارة حتى إن قطعة اللحم المشوي التي كانت بيدي وقعت، وتوقفت الحركات داخل فمي عن طحن الطعام، وأحسست بمرارته في حلقي، وغابت عني رائحة الطعام التي كانت تأسرني منذ قليل، منذ أن سمعته وهو يخبرني بأن هذا هو لحم الخروف!

خيم الصمت من حولي قليلًا وسيل ذكريات ليلة البارحة أراه يمر من أمامي، أتذكره وهو يطالبني بسداد الدين الذي اقترضته منه منذ عدة أيام مضت.

لا شك أنه تعجل في طلبه! ولكن حقه!

يعود إلى مطالبتي بعد أسبوعين فقط من إقراضي إياهم! ودارت برأسي الأفكار والهواجس ولم تترك في خاطري ركنًا إلا وتربعت فيه.

عدت أستغفر ربي ومددت يدي أحركها من جديد، ألتهم قطع اللحم المشوي لأسد جوعي، وأخذت أمضغها ما بين فكي، وما عدت أتذوق طعمها ولم أعد أتشمم رائحتها التي كانت تأسرني منذ قليل، هكذا غابتا!

أيام قليلة مرت.. يوم.. اثنان.. ثلاثة أيام تمزجها مرارة أقداح الدين تسري هي كالنار في الهشيم، حتى إنها سرقت مني البسمة وسحبتني لتدخلني في حسبة خاسرة، حتى إنني أدركت أني انتهيت وتشابه ليلي ونهاري، ولم أعد أحس بمرور الوقت توقفت العقارب لتلسعني.

رويدًا رويدًا اقتربت الشمس من المغيب، وغابت ثم تابعها النهار المتربص بي وأنا أجر أذياله نحو المغيب، حتى إنني أمسيت مثقلَ الأفكار والهواجس.

عدت على صوتها وهي تناديني وهي تطبطب على كتفي: زوجي الحبيب ما فائدة الحلي بيدي وأنا أراك مهمومًا مقهورًا، تتجرع مرارة أقداح الدين!